



في رحاب التوراة

دراسات وجارات روحانية مُعمّقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University



The Original text in English and translations to other languages can be found here:
[Covenant & Conversation](#) | [Naso](#) | [The Blessing of Love](#) | [The Rabbi Sacks Legacy](#)

"ناسوا" هو النصُّ الأسبوعي الثاني من كتاب "تبدار" (أي سفر العدد) ويبدأ هذا النصُّ الأسبوعي بالآية الواحدة والعشرين من المقطع الرابع، وينتهي بالآية التاسعة والثمانين من المقطع السابع.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

نِعْمَةُ الْمَحَبَّةِ

يُعتبرُ نصُّ "ناسوا" أطول نصِّ أسبوعيٍّ من نصوص التوراة، ويبلغ مُجمَل عدد الآيات فيه مئة وستة وسبعين آية. لكن بضعاً من آياته تحظى بأهمية خاصة كونها من أكثر الآيات عاطفية، بالإضافة إلى تأثيرها العظيم عبر مَرِّ التاريخ، وهي آياتٌ قصيرةٌ يكادُ يكونُ يعرفها كلُّ يهوديٍّ، خاصةً آيات بركة الكهنة، وهذه الآيات هي 23-27 من المقطع السادس من سفر العدد، والتي تقول:

"ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَمُوشِيَهُ/مُوسَى تَكْلِيمًا، مُرْ أَهَارُونَ/هَارُونَ وَبَنِيهِ وَقُلْ لَهُمْ هَكَذَا تُبَارِكُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: يُبَارِكُ اللهُ وَيَحْفَظُكَ، وَيُضِيءُ وَجْهَهُ إِلَيْكَ وَيَرَأْفُكَ، وَيَقْبَلُ بِقَصْدِهِ عَلَيْكَ وَيُصَيِّرُ لَكَ سَلَامًا. وَلِيَتْلُو اسْمِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَا سَأُبَارِكُهُمْ".

إن الآيات السابقة تُعدُّ من أقدم الأدعية التي دُونتها كُتُب الأدعية اليهودية، وكان يُرددها الكهنة في بيت هَامِقْدَاش (الهيكل اليهودي المقدس) قديماً، في وقتنا الحالي يُرددها من انحدر من نسل عائلات كبار أولئك الكهنة خلال القراءة المُتكررة لصلاة العميداه (صلاة الوقوف) داخل أرض إسرائيل، وتُردَّد أيضاً في غالبية الأعياد الدينية خارج أرض إسرائيل. أضف إلى ذلك أن الآباء يُرددون هذه الآيات لمباركة أبنائهم ليلة السبت اليهودي المقدس (ليلة السَّبات) من كل أسبوع، كما أنها تُردَّد أمام العرسان أثناء وجودهم تحت عريشة "الخوپاه" (الخوپاه هي عريشة صغيرة يقفُّ تحتها العريس والعروس كجزء من تقاليد الزواج في اليهودية وتُقام هذه العريشة على أربعة أعمدة). بمعنى آخر، إن هذه المجموعة من الآيات تُعتبر من أروع الأدعية اليهودية على الإطلاق.

كما وأنا نجدُ هذه الآيات مكتوبةً في أقدم الكتب والنصوص الدينية التوراتية التي ظلت موجودة حتى يومنا هذا، ففي عام 1979م كان عالم الآثار الإسرائيلي غافريل باركاي يبحث ويتفحص الكهوف القديمة التي كانت تُستخدم كمقبرة خارج

أسوار مدينة أورشليم القدس في منطقة كيتيف هينوم والمقام عليها مركزُ تراثٍ مناخيمٍ بيجينٍ حالياً. وأثناء ذلك البحث عثرَ طفلٌ يبلغُ الثالثة عشر من عمره (والذي كان يُساعدُ غافرييل في عمله) على سردابٍ مخفيٍّ أسفل أرضية أحد الكهوف، وبعد الدخول إليه عثرت مجموعة الباحثين على عددٍ من الآثار القديمة التي يعودُ تاريخها إلى أكثر من ألف عام، وكان من ضمنها لفيفتان فضيَّتان مُتناهيتان في الصغر لا يتجاوز طول الواحدة منها ثلاث سنتيمترات.

وقد كانت هاتان اللفيفتان في مُنتهى الهشاشة لدرجة أن عملية فتحهما استغرقت ثلاث سنوات من العمل الدؤوب لإيجاد طريقة لفتحهما دون أن تتفتتا. وبنهاية المطاف نجحت عملية فتحهما وأتضح أنهما تحتويان على عدد من التمايم (قميعوت باللغة العبرية) التي تتضمنُ نصوصاً وأدعية من بينها دعاءُ بركة الكهنة. وقد أثبتَ البحثُ العلميُّ بأن هاتين اللفيفتين يعود تاريخهما تحديداً إلى القرن السادس قبل الميلاد، وهي الحُقبَةُ الزمنية التي ظهر فيها النبي يرمياهو/إرمياء بالإضافة إلى أنها شهدت آخر أيام الهيكل اليهودي الأول في أورشليم القدس قبل أن يتم هدمه، كما أنها تعتبرُ أقدمَ بأربعمائة سنة من أقدم مخطوطات دينية توراتية تم العثور عليها حتى ذلك الوقت، والمعروفة باسم مخطوطات البحر الميت. وقد تم وضع هاتين اللفيفتين في متحف إسرائيل حالياً بحيث تعتبران شاهداً حياً على العلاقة العريقة التي تربط اليهود بأرض إسرائيل منذ الأزل، هذا عدا عن كونها شاهداً بحد ذاته على استمرارية وتواصل الديانة اليهودية حتى يومنا هذا.

وبالعودة إلى بركة الكهنة، فإن ما يمنحُ هذا الدعاء قوته وتأثيره هو بساطته وعظمته في الآن نفسه، حيثُ تحمل كلمات الدعاء إيقاعاً قوياً في تركيبة كلماتها، فالآية الأولى تتضمنُ ثلاث كلمات، والآية الثانية تتضمن خمس كلمات، أما الآية الثالثة فتتضمن سبع كلمات، وفي كل آية نجدُ أن الكلمة الثانية منها هي كلمة "الله" (أو الاسم الصريح وغير الملفوظ لله عز وجل تبعاً للديانة اليهودية)*. كما تشيرُ الأجزاء الأولى من الآيات الثلاثة إلى بعض من الأمور التي يختصُ بها الله عز وجل، ألا وهي "يُبَارِكُكُ"، "ويُضيءُ وجههُ إليك"، "ويُقْبِلُ عليك"، أما الأجزاء الثانية منها فتصِفُ تأثيرَ البركة علينا بما تمنحنا إياه من شعورٍ بالأمان والسلام والرفقة.

في الوقت نفسه نجدُ أن هذه الآيات تتخذُ منحىً يسيرُ باتجاهٍ داخليٍّ أكثر منه خارجياً، بمعنى أننا نجدُ الآية الأولى التي تقول "يُبَارِكُكُ اللهُ ويحفظُكُ" تتطرقُ إلى البركاتِ الماديةِ تبعاً لتفسيرات كبار المُفسرين اليهود، أي مُباركة الاحتياجات المادية للبشر مثل البقاء والصحة الجسدية وغيرها. أما الآية الثانية التي تقول "ويُضيءُ وجههُ إليك ويرأفُكُ" فإنها تتطرقُ إلى البركة المعنوية والأخلاقية، خاصة كلمة "حين" العبرية التي تعني الرفقة، لأنها قيمة أخلاقية نُظهرها في تعاملنا مع غيرنا من البشر. بالتالي تتجاوز هذه الآية الطابعَ الشخصيَّ إلى حدٍ ما، فنحنُ نطلبُ من الله عز وجل في هذه الآية أن يمنحنا بعضاً من رأفته حتى نتمكنُ نحنُ البشرُ من العيش مع بعضنا البعض دون خصامٍ أو ربما غيرَةٍ تقودان بنهاية المطاف إلى تسميم العلاقات الاجتماعية بيننا.

أما الآية الثالثة فهي أكثر آية يطغى عليها الطابعُ الداخلي بين باقي الآيات، وفي هذا السياق أستذكرُ قصةً جميلة تتحدث عن جماعة من الناس كانوا يقفون فوق إحدى التلال المُحاذية للبحر لرؤية باخرة ضخمة كانت ستمر من تلك المنطقة، ومن بين الواقفين كان هناك صبيٌ يلوحُ بيديه بقوة عندما رأى الباخرة، فسأله أحد الرجال الواقفين لماذا يفعل ذلك، فأجابه الصبي قائلاً: "أنا ألوحُ بيدي حتى يرايَ الرُبانُ السفينة فيلوحُ لي بيديه هو الآخر"، فردَّ عليه الرجل مُتسائلاً: "لكن الباخرة بعيدة جداً وهناك أشخاصٌ آخرون كثيرون غيرك واقفون هنا، فما الذي سيجعل الرُبانَ يراك أنت على وجه التحديد؟" فأجابه الصبي بكل ثقة: "إن الرُبان هو والدي، سيبحثُ عني بين الواقفين هنا".

*ملاحظة توضيحية من المُترجم: يتكوّن الاسم الصريح لله عز وجل في التوراة من أربعة حروف، وهو مُشتق من الجذر "ه.ي.ه." باللغة العبرية والذي يعنى الوجود. ومن الجذر نفسه يُمكن اشتقاق صيغة الماضي والحاضر والمستقبل للأفعال في اللغة العبرية، وهذا يعنى أن الله عز وجل دائمٌ وبأنه لا توجد حدود زمنية لوجوده. لم يكشف الله عز وجل عن اسمه الصريح لأقرباهم/إبراهيم أو يتسحق/إسحق أو يعقوف/يعقوب، وأظهره فقط عندما تجلّى لموشيه/موسى تبعاً لما تذكره الآية الثانية من المقطع السادس من سفر الخروج: "ثم كلمَ اللهُ موشيه، وقال له أنا اللهُ" بالإضافة إلى الآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من المقطع الثالث من السفر نفسه: "قال موشيه بين يدي الله، ها أنا صائرٌ إلى بني إسرائيل، وأقول لهم إله آبائكم بعثني إليكم، فإن سألوني ما اسمه، ماذا أقول لهم؟ قال له، الأزلي الذي لا يزول، ثم قال، كذا قل لبني إسرائيل، الأزلي بعثني إليكم". توقّف اليهود عن استخدام الاسم الصريح لله عز وجل منذ زمن الهيكل الثاني، واستبدلوه بكلمات أخرى مثل "أدوناي" و"الوهيم" و"هاشيم" (كلمة هاشيم تعنى الاسم). واستناداً إلى الهلاخاه (قوانين الشريعة اليهودية) فإنه ينبغي علينا أن نتعامل مع الاسم الصريح لله عز وجل بقمة التمجيل والاحترام، لأنها اللفظة التي تُستخدم في الحديث عن المُدّوس الذي يفوق في قدسيته كل شيء. وعند كتابة الاسم الصريح لله عز وجل فإنه يُمنعُ مسحه، لأن هذا العمل يعتبرُ تدنيساً لقدسية الله عز وجل واسمه. إن هذا الاسم هو خاصٌ بالله عز وجل ولا يحمله أي شخص أو شيء آخر، فهو بمثابة اسم خاصٍ لله، بالتالي لا يجب أن يُلفظ هذا الاسم لأنه يحملُ أعلى درجاتِ القداسة.

في الحقيقة فإن هذه القصة توضح لنا المقصود من الآية "ويضيء وجهه إليك ويرأفك"، إذ يوجد على سطح هذا الكوكب سبع مليارات إنسان، ومن الطبيعي أن يجول هذا السؤال بخاطرننا: ما الذي يميز كل إنسان ويجعله أكثر من مجرد وجه في هذا العدد الغفير من البشر؟ ما الذي يجعلنا نشعر بأن حجبنا يتجاوز مجرد قطرة ماء من بحر أو حبة رمل من إحدى الشيطان؟ إن ما يجعلنا نشعر بذلك هو إيماننا بأننا أبناء الله عز وجل بأنه والدنا الذي يقبل بوجهه إلينا لأنه يعتني بنا ويكثر بحالنا فعلاً.

إن الله عز وجل إله أفرهام/ إبراهيم يتجاوز كونه مجرد قوة من قوى الطبيعة، بل ويتجاوز في كينونته جميع قوى الطبيعة مجتمعة، فعلى سبيل المثال لا تتوقف أعاصير التسونامي مكرثة بمن سيكون ضحيتها، ولا توجد أي أسباب شخصية تجعل الزلازل تستهدف إنساناً دون غيره. ومن هنا نجد أن كلمة "الوهميم" تعني "قوة القوى، وسبب الأسباب، والحالة الكلية لجميع القوانين العلمية القابلة للاكتشاف". بالتالي فهي تنطرق إلى جوانب تتعدى البعد الشخصي من كينونة الله عز وجل، كما أنها تنسب إليه العدل على وجه الخصوص، لأن العدل قيمة أساسية تتعدى حدود المستوى الشخصي.

لكن لفظ الجلالة الذي نستخدمه للإشارة إلى الله عز وجل في الديانة اليهودية هو "هاشيم" (بمعنى الاسم باللغة العبرية وهي لفظة تُستخدم عوضاً عن اللفظ الصريح وغير الملفوظ لله عز وجل في اليهودية) وهي لفظة مُستخدمة أيضاً في دعاء بركة الكهنة وتستخدم في غالبية النصوص المتعلقة بالكهنة، وهو أيضاً اللفظ الذي نستخدمه في حديثنا عن الله حين ينظر لنا على المستوى الفردي لا الجماعي، حين ينظر إلى كل منا حسب بُنيته الفريدة من الآمال والمخاوف والهبات والإمكانات التي تميز كل إنسان عن الآخر.

إن لفظ الجلالة "هاشيم" يتطرق إلى جانب آخر من جوانب الله عز وجل، فهو الجانب الذي يسمح لنا باستخدام كلمة "أنت"، لأنه الإله الذي يتحدث إلينا ويصغي لنا حين نتحدث إليه، لكن كيف يتم ذلك؟ بصراحة لا أحد يعلم هذا إلا الله، لكن هذا التواصل بحد ذاته يُشكل موضوعاً مركزياً في العقيدة اليهودية.

إن استخدامنا لهذا اللفظ "هاشيم" في مخاطبة الله عز وجل هو بمثابة تأكيد راقٍ على أهميتنا نحن بين بقية الأشياء الأخرى، فنحن نحتل حيزاً خاصاً من الأهمية كأفراد لأن الله عز وجل أبه بنا ويهمه أمرنا تماماً كما أبه الأب بامرئ ابنه. وليس من باب المصادفة أن تكون هذه الفكرة سبباً يجعل دعاء بركة الكهنة بصيغة المفرد، وذلك تأكيداً على أن الله لا يُباركنا على المستوى الجماعي كبشر فحسب، بل يُباركنا أيضاً على المستوى الفردي، وتبعاً لمقولة أحد كبار الحاخامات فإن حياة واحدة تُعادل الكون بأسره.¹

بالتالي فإن هذا ما تعنيه الآية الثالثة والأخيرة بالضبط، فإدراكنا بأن يقبل الله بوجهه على كل إنسان منا مخاطباً كل فرد بميزاته التي تجعله يُتميز في هذا الحشد الهائل من البشر، نُعتبر أعظم مصدر للسلام والطمأنينة للإنسان. والكثير من التصرفات كالمنافسة والعنف وعدم الانصياع للقانون مصدرها هو أننا نريد أن نُثبت أهميتنا وبأننا لنا أهمية معينة، كما قد يكون مصدرها أننا نريد أن نُثبت للجميع بأننا أقوى أو أكثر ثروة أو نجاحاً من غيرنا.

وحيث يقوم الإنسان بهذه التصرفات حتى يبث الرعب والخوف في صدر غيره من البشر أو ربما لجعلهم ينصاعون لرغباته وأوامره، أو ربما ليشعر هو بدور الجلاد ويجعلهم ضحايا أو عبيداً له، فإن هذا يعني فشلاً إيمانياً وروحانياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فالإيمان يعني الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل يكثر بي ويأبه بأمري، وأني موجود هنا على وجه التحديد لأن الله عز وجل يريد ذلك، وبأن الروح التي وهبني إياها هي روح طاهرة نقيّة، وحتى عندما أتصرف كذلك الصبي الذي يلوّح بيده لرتبان الباخرة فإنني أعلم علم اليقين بأن الله عز وجل يبحث عني ويلوّح لي كما لوّح له، وهذا بالفعل هو أعظم مصدر للسلام والطمأنينة الداخلية. إننا لسنا بحاجة لإثبات أنفسنا حتى ننال عطايا الله عز وجل وهباته ونعمه، وما يجب علينا القيام به حتى ننالها هو الإدراك الحقيقي بأن الله "يقبل بوجهه علينا"، وعندما نكون في حالة سلام داخلي مع أنفسنا فإنه سيكون بمقدورنا أن نصنع السلام حول العالم.

بالتالي يصبح دعاء بركة الكهنة أطول وأكثر عمقاً، بدءاً بالبركة التي تحل على المظاهر المادية والخارجية، مروراً بالبركة التي تحل على المستوى الشخصي والمتمثلة بالرفقة والرحمة، وانتهاءً بأكثر تلك البركات عمقاً في منحها الداخلي وهي السلام النفسي الذي نستشعره حين نعلم علم اليقين بأن الله عز وجل يرانا ويصغي إلينا ويحتضننا بين ذراعيه دوماً.

لكن توجدُ جُزئيةٌ أخرى من دعاء بركة الكهنة تجعله دعاءً مميزاً جداً، وهو الدعاء الذي أضافه الكهنة ليردّوه قبل تنفيذ أي من وصايا التوراة (مترفاه باللغة العبرية)، هذا الدعاء الذي يقول: "بوركت يا الله، يا مَنْ قدّسنا بقداسة أهارون وأمرنا أن نبارك بني إسرائيل بكلّ محبة (بأهافا)"، والعبارة الأخيرة "بكلّ محبة" تعتبر عبارة استثنائية في هذا الدعاء، كونها لا تظهر في أي دعاء آخر يتعلّق بتنفيذ وصية من الوصايا التوراتية، لذا يبدو وجودها هنا تحديداً أمراً غير منطقيّ أبداً، لأنه يفترض بنا أن نُنفّد وصايا التوراة ونلتزم بها جميعها بكلّ محبة (بالرغم من أن الله عزّ وجلّ يتقبّل أعمالنا والتزامنا بوصاياه حتى لو خلى ذلك من المحبة). لكن وبجميع الأحوال فإن وجود دعاء مُحدد مُقترن بالقيام بأمرٍ مُعيّن يُظهر مدى الرغبة وصدق النية في القيام بذلك العمل.

وفي هذا السياق، كانت هنالك حالة من النقاش والجدال الحادّ بين الحاخامات حول مسألة الـ"كافانا" (النية) وأهميتها في الالتزام بتنفيذ الوصايا التوراتية². لكن سواء كان لها أهمية أم لا، فإنه ومثلما ذكرتُ سابقاً فإن ترديد دعاء مُعيّن قبل القيام بالوصية يُشير إلى وجود النية للقيام بذلك. في المقابل، ينبغي علينا أن نُفرّق بين النية من جهة، والعواطف من جهة أخرى. لكن المهمّ هو ترديد الكهنة لذلك الدعاء، والله عزّ وجلّ سيتكفل بالباقي، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو الفرق الذي ستُحدثه تأديته لذلك "بكلّ محبة" من عدمه؟

في الواقع كان هذا السؤال مُحيّراً للكثير من المُفسرين الذي حاولوا جاهداً الإجابة عنه، فقال بعضهم بأن توجيه الكهنة لوجههم صوب الناس عند مباركتهم بهذا الدعاء تعني أنهم يريدون مثل الكروفييم (أو الشيروبييم وهي الملائكة التي رُمز إليها في الأشكال الموجودة فوق تابوت العهد) في المشكان (بيت العبادة)، فكلّ منهم يصوّب وجهه تجاه الآخر كدلالة على المحبة. في حين غيّر مُفسرون آخرون ترتيب الجمل في الدعاء لتصبح كالتالي: "الذي قدّسنا بقداسة أهارون، وبكلّ محبة أمرنا أن نبارك بني إسرائيل"، بمعنى أن المحبة في هذا الترتيب تعود إلى الله عزّ وجلّ، وليس للكهنة.

لكن أياً كان التفسير الصحيح فإنني أعتقد بأن التفسير الملائم هو التالي: لقد بيّنت التوراة بمُنتهى الوضوح بأن الله عزّ وجلّ هو الذي يبارك رغم أن الكهنة هم الذين يرّدون الدعاء، تبعاً لما هو مذكور في الجزء الأخير منه والذي يقول: "وليتلو اسمي على بني إسرائيل وأنا سأباركهم". وبالعادة عندما نقوم بتنفيذ وصية معينة من وصايا التوراة (مترفاه) فإننا عملياً نقوم بفعل مُعيّن، لكن عندما يرّد الكهنة هذا الدعاء فإنهم فعلياً لا يقومون بتنفيذ الأمر بأنفسهم أو من أجل أنفسهم، بل هم فعلياً بمثابة قناة يُمزّر الله عزّ وجلّ عبرها بركاته إلى حياتنا هذا العالم.

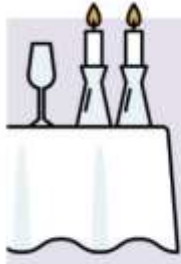
والمحبة هي الأمر الوحيد الذي يصف ما يقوم به الكهنة عملياً، فالمحبة تعني ألا تُركّز على ذاتنا بل نجعل تركيزنا على الآخرين، والمحبة هي الإيثار في أبهى صورته، ووحدته الإيثار يجعل الإنسان منا كالقناة التي تُمرّر عبرها قوّة عظيمة كهذه. والمحبة "تُحرّك الشمس وبقية النجوم من مكانها" مثلما قال الشاعر الإيطالي العريق دانتي أليغييري³، ولا شك في أن المحبة قادرة على بث حياة جديدة في هذا العالم.

لهذا فإننا حتى نبارك الآخرين علينا أن نتصف بالمحبة أولاً، وحتى ننال البركة فإنه ينبغي علينا أن نعلم علم اليقين بأن الله عزّ وجلّ الذي يتجاوز في عظمته هذا الكون الشاسع يُحبّنا ويأبه بنا، وبأنه يُقبّل بوجهه علينا كما يُقبّل الأب بوجهه على أبنائه، ومعرفة هذه الحقيقة تقودنا إلى حالة من السلام الداخلي والطمأنينة الروحانية دون أدنى شك.

1. المصدر: ميشناه سنهدرين 4:5

2. المصدر: روش هاشناه، 28 – أ

3. الشاعر دانتي أليغييري في شعره الملحمي "الكوميديا الإلهية"، مشهد براديسو 33.



حول مائدة يوم السبت المقدّس: أسئلة للتأمل

- 1- هل تشعر بأن الله يراك ويرعاك ويهتم بأمرك؟
- 2- هل تعتقد اننا بحاجة "الرؤية الله عز وجل" حتى نفوّي صلّتنا به؟
- 3- ما هي العلاقة بين إقبال الله عز وجل بوجهه علينا وشعورنا بالسلام والطمأنينة؟

- These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/naso/the-blessing-of-love/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

